بمناسبة تكريمه في مهرجان المربد

ألفريد سمعان.. شهادة عن زمن مضى

جاسم العايف

١

أستعيد تلك اللحظات التي كنت خلالها في بدايات تطلعاتي وبساطتها، أستمع بشغف لتغريد (بلبل.. محطة دار الإذاعة العراقية) في أولى لحظات بثها الصباحي بإشارتها الجميلة المميزة تلك، والتي تختفي صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ ليصرخ بدلاً منها، صوت متخشب أجش وبصراخ عال، البيان الأول لثورة (العسكر) التي فتحت أبواباً متعددة للسعادات، والهناءات، والتحولات والحركات الاجتماعية، المقموعة سابقاً، فضلاً عن ضروب شتى من النشاطات المدنية والحضارية، التي لا عهد ولا تراث للعراقيين بها، لكنها مع الأيام التي تلت ارتبطت بالجحيم الذي فتحَ على العراقيين، شتى أنواع المظالم والحيف والانتهاكات، وطالهم جميعاً دون تمييز، وما يزال مُشرعاً حتى اللحظة. كنا، بعض أبناء فقراء محلة (الفيصلية)، قبل أن تتحول إلى (الجمهورية)، بتلك الرؤوس الحليقة والأجساد الهزيلة، والعيون التي استوطنها التراخوما، والملابس التي تعلوها الخصاصة، نفكر، بمستوى أعمارنا، ونعمل فنصدر بأيدينا، تحت شمس (الفيصليّة) وبين سواقي أزقتها الآسنة،التي تشطر طرقها الترابية إلى نصفين، مجلات تزيّنها تخطيطات ورسوم بألوان مائية وألوان أخرى غيرها، يحسبها غيرنا الآن وكأنها بمستوى مشاريع وزارات. شَفنا ذلك الصباح التموزي الذي غيّر كثيراً من تطلعاتنا وتوجهاتنا ومستقبل بعضنا ومصائرنا الشخصية، ففي فورة (مراهقتنا) وجموحها الذي لا يحد تهرأت أحذيتنا من الركض في المسيرات ولوحتنا الشمس البصرية الحارقة التي كنا تحتها إلى ما بعد العصر نصرخ بأعلى ما نستطيع بأصوات مبحوحة، وحناجر أكل منها العطش، دفاعاً عن ذلك (الصباح) الباهر الذي كنا نعتقد، بنقاء وطيب سريرة وبراءة، أن (العسكر) أهدوه لنا، لكنهم شيئاً فشيئاً سرقوه منا وسرقوا معه كل الأحلام والتمنيات. لاهتماماتنا الثقافية بتنا نتابع الكتب والصحف والمجلات المتعددة التي لا عهد لنا بها، ونقرأ أسماء جديدة..أسماء لامعة تنطوي كتاباتها على الإخلاص والحماس والجديد علينا وتمدنا بزاد من المعرفة بات رصيدنا في توجهاتنا الفكرية والثقافية القادمة، أسماء أثق إن الأجيال الراهنة لم تعرف عنها وأعمالها ونشاطاتها الثقافية – الفكرية شيئاً. ثم بعد سنوات تلقفت بعضنا المواقف وغرف التعذيب والمهانات التي لا حصر أو عد لها ، والسجون والفصل التعسفي من مدارسنا، واختفت تلك الأسماء وبات ما صدر عنها ومنها بمثابة أدلة جرمية تطال كل من يعثر عليه وهو يقرؤها أو يتحدث بها، أسماء كثيرة طوتها الغربة والإهمال المتعمد وغيبها التعسف والضيم والأهوال والغدر، ونال من بعضها الموت بوحشية لا مثيل لها.. ولكن:

" إن كان هو الموت دائماً
فهو يأتي تالياً.
الحرية ، أبداً ، هي الأولى". يانيس رتسوس

٢

كنت غالباً ما أردد مقطعاً من شعر لشاعر اسمه" ألفريد سمعان" حفظته، بعد أن قرأته في مجلة" "المثقف" التي تصدرها جمعية الخريجين العراقيين، بورق اسمر وغلاف من الكارتون وسعر زهيد ومضمون راق. كان ذلك المقطع الشعري منسجماً مع تلكَ الأيام وفورتها وتوجهاتها، نبهني جارٌ لنا، وهو الشقيق الكبير، لأحد أقراني، ويعمل معلماً: أن هذا الشاعر "بصراوي" وكان زميله في الإعدادية المركزية بالعشار! عندها أنخطفتُ بالشاعر وفي حدود وعيي وعمري ذلك الزمان. ذات عصر بصري، وأنا حينها الفتى، في طريقي نحو السينما في (العشار)، رأيت مجموعة شعرية معروضة عند بائع الصحف "سالم" وكان يتخذ من نهاية "الهنود"، وقرب محل لبيع (الكاري والتوابل الهندية) مكاناً له، وقبل أن أمد يدي نحوها قرأت عنوانها فكان "كلمات مضيئة" فزادني العنوان شغفاً، ثم استفسرت عن سعرها فأخبرني "سالم" انه (١٠٠) فلس. حاولت جاهداً مع "سالم" أن يخفض لي من سعرها (١٠) فلوس فقط ، أجرة عودتي إلى "الجمهورية" في باصات "مصلحة نقل الركاب الحكومية " فأبى ذلك نهائياً. ودفعت ثمنها ولم أكن أملك غيره، وتوجهت مشياً إلى دارنا بعد أن سجلت تاريخ اقتنائي "كلمات مضيئة" على صفحة ما بعد الغلاف المصمم من قبل الفنان (يحيى جواد)، وكان كما أراه، إمامي محتفظاً به كل تلك السنوات التي تتجاوز نصف قرن ، مكتوباً بالحبر الأزرق مع توقيعي البسيط عليه (٣/ ٤/ ١٩٦٠). عدت مشياً على قدميَّ بين غابات بساتين النخيل التي كانت تفصل "العشار" عن "الجمهورية" منتشياً وأنا أجوب تلك البساتين العامرة بالخضرة ، والنرع الجميلة الصغيرة ، وأقرأ "كلمات مضيئة" وذلك الإهداء الذي نصه: "إلى الطليعة / الظافرة / السائرة / في طريق الشمس / نحو غد أفضل." (الفريد). أستاذنا الفاضل الراحل الدكتور "صلاح خالص" كتب مقدمة المجموعة الشعرية وعنونها بـ(كلمة) مؤكداً فيها " انه يقدم في هذه الصفحات وجهاً مضيئاً من وجوه الأدب العراقي المعاصر في "كلماته المضيئة" التي استوحها من كفاح الشعوب الفتية ونضالها المرير من اجل الحرية والسعادة والرفاهة ولاسيما كفاح الشعب العراقي الجبار ونضاله البطولي وتضحياته الجسام في سبيل توفير حياة أفضل لأجياله القادمة، استوحاها الشاعر من هذا الوطن الذي عاش فيه هذا الشعب النبيل مُروياً تربته من عرق عماله وفلاحيه ومخضباً بطاحه بدماء أبطاله الذين ذادوا عنه عبر القرون.. استوحاها (الشاعر) من هذه التربة العطرة الكريمة." (ص٢ -٣). كما يذهب أستاذنا الراحل د. خالص إلى أن لشعر (الفريد) قيمة خاصة ومنزلة متميزة، لأنه جمع في "كلماته المضيئة" بين الجماهيرية والإخلاص، جمع بين الروح الجمعية الواسعة وبين الإحساس الخاص الذي امتزجت فيه المشاعر الفردية بشعور الجماعة ولم تختفِ فيه أو تضيع في طياته، وأن أهم العناصر التي تتفتح فيها شخصية الشاعر (الفريد) وأصالته الفنية هي تحسسه بالموسيقى اللفظية، ومحاولته استنزاف ما في الألفاظ من قوة تعبيرية، لا بما تحمل من معان لغوية فحسب، بل بجرسها وموسيقاها، وغالباً ما تكون نتيجة ذلك في شعره ، قوة في الفكرة وتحمساً لها ووضوحاً في المعنى ورقة في التعبير وبساطة محببة، قد تتجاوز حدها أحياناً، وتكون كلها الصفات المميزة لفن (الفريد) الشعري.

٣

"ها أنت
مشحون بصندوق الحديد
تغادر صدرك الأنفاس
يخنقك الغبار
ترافق رحلة الأحزان والحسرات
والذكرى
وتأريخاً
تكبله المواجع والسجون
وصيحة الغضب الدنيء
أتموت دون أن يلقي عليك صغارك
نظرة
وتصيح زوجتك الحنون
لا ترحل...أريدك أن تعيش." الفريد سمعان

منذ العام ١٩٥٢ و"الفريد" يمارس العمل الصحفي، وأصدر المجاميع الشعرية الآتية: في طريق الحياة/ ١٩٥٢/ قسم ١٩٥٤/ رماد الوهج ١٩٥٧ /كلمات مضيئة١٩٦٠ /طوفان ١٩٦٢/ أغنيات للمعركة ١٩٦٨ / عندما ترحل النجوم ١٩٧١ / الربان ١٩٦٧ / مراحل في درب الآلام ١٩٧٤، وله كذلك مسرحية شعرية، وثلاث مجاميع قصصية. "الفريد سمعان"، الذي يعقد (المربد التاسع) في البصرة بتاريخ ٩ – ١١/ أيار/ ٢٠١٢ ويحمل اسمه لما يتمتع به من حضور ونشاط حياتي – ثقافي ونضال وطني وتأريخ مشرف، قد طوحت به السنوات بين سجون عدة منها: سجن الكوت، ومعتقل خلف السدة ، وكان (ضيفاً) على (قطار الموت) بعد إعصار ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي نحو نقرة السلمان، وسائق القطار حينها، كما تؤكد الوثائق والتي كشفت بعد عقود، كان النبيل (عباس المفرجي) الذي علم، بطريقة ما، أن بضاعته (بشر) وأنها أرقى وأخلص العقول العراقية، فقرر أن يسبق بحمولته الغنية تلك (طائر الموت) الذي كان يحوم حول قطاره وحقق ما أراده وقرره بشهامة نادرة في محطة قطار (السماوة). ومن (نقرة السلمان)، بعد سنوات نقل (الفريد) إلى سجن الحلة وسجون ومواقف عراقية لا عد لها، ومع كل ذلك لم تتلطخ يده وضميره وروحه بمغانم وولائم اللئام في زمن النظام المنهار أو هذا الزمان. يبقى "الفريد سمعان" بالنسبة لجيلنا، الذي بدأ يدشن كهولته ، مثالاً على السجل الحياتي المشرف الناصع، بالترافق مع عفة اليد ونقاء السمعة والثبات المبدئي الراسخ، رغم كل العذابات والمحن التي تعرض لها، والأيام والسنوات المرة القاسية التي طالته بوحشيتها وعذاباتها ومراراتها ولم تهز قناعاته الراسخة، دائماً، بمستقبل وطنه وشعبه.

× شهادة قدّم قسم منها إلى مهرجان "المربد التاسع"

"لا يمكننا أن نفهم فكر كاتب ما وأعماله من خلال الكتابات، أو حتى على مستوى القراءات والتأثيرات، إلا كمظهر جزئي لواقع أقل تجرداً هو الإنسان الحي الكامل، وهذا ليس بدوره سوى عنصر من الكل الذي هو المجموعة الاجتماعية". الإله الخفي/ غولدمان

قناديل

لطفية الدليمي

الأدب وشرط الحرية

موضوعة الحرية وصراع الإنسان الأبدي من أجلها ومسعاه المستمر للحفاظ عليها ، والتمسك بكينونته الحرة تدفعنا لتقصي الموقف العقلاني والفلسفي لارتباط الحرية بالوجود الإنساني من أساسه، وبسبب عدم فهم الأكثرية لحقهم في أن يكونوا إنسانيين وأحرارا لابد من تحديد علاقة الحرية بالإنسان ، فالإنسان حر من لحظة وجوده وولادته ،لا من حيث له الحق في أن يكون حراً، وهذا الوعي لموضوعة ارتباط الوجود الإنساني بالحرية – كما يقول دكتور كمال أبو دبب في (كتاب الحرية) – : ينقل دراسة الحرية والنضال من اجلها من منظور استجداء الحق والمطالبة به إلى منظور مشروعية الثورة على كل محاولة لإنكار طبيعة الإنسان وكونه حرا بطبيعته.

في عالمنا الراهن حيث تتحكم بالبشر قوى مستبدة تتشكل من بنى عشائرية وعرقية ودينية وباتريركية والى جانبها قوى أخرى تدعي قدرتها على تحرير الإنسان ومنحه حقوقه الإنسانية الكاملة، لكنها بالمقابل تدعم القوى المستبدة وترسخ هيمنتها على أرواح البشر وبالتالي تسلبهم إنسانيتهم بسلب حريتهم وعندما تبلغ المعضلة مرحلة سلب إنسانية الإنسان فإنها تصبح تمييزا عنصريا يدفع الإنسان للمقاومة والصراع من أجل إنسانيته وحريته المسلوبة..

٢

كيف نتصور موضوعة الحرية وعلاقتها بالأدب؟ يرد أبو ديب بما يأتي : هناك نقطتان إحداهما بديهية والأخرى ليست ببداهتها لكنهما معا نقطتان جوهريتان:

١- الأديب إنسان أولا قبل كونه أديباً

٢- إن للأدب الخلاق شروط وجود وشروط ازدهار لا يمكن أن يبلغ ذرى كماله من دونها..

بناء على الطرح السابق لتلازم موضوعة الحرية مع الوجود الإنساني فلا بد أن يتوفر الأديب على الحرية التي تتوفر للإنسان من حيث هو إنسان ، وبمقتضى النقطة الثانية تصبح الحرية ضرورة ملحة بالنسبة للأديب ، فتغدو حاجته لها مضاعفة قياسا إلى حاجة الإنسان العادي ..

هذا التفصيل الأساسي لارتباط الأدب والإبداع عموما بالحرية يجعلنا نتساءل : كيف يكون أدب المنتج في ظروف غياب الحرية؟ هل هو أدب تلفيقي؟ احترازي؟ مشفر؟ مشحون بالرموز حتى ليتعذر تأويله؟ كيف هو الأدب المكتوب في عتمة العبودية ؟؟ هل هو أدب متمرد ؟؟ أم هو أدب مقموع زاده قمع الآخر لكاتبه انغلاقا وسوداوية؟ يرد كمال أبو ديب على تساؤلاتي هذه بالقول: (إن المقموع يتحول إلى قامع والمستَعبد إلى مستعبِد لسواه... إن التوق للحرية والاستسلام للعبودية يتحولانِ إلى قوة داخلية تطغى على النفس فلا يعودان مشروطين بوجود قوة خارجية تدفع نحو الحرية أو تزيد نير العبودية تكبيلا).

إن قمع السلطة للكاتب والمبدع يتحول إلى قمع تمارسه الذات ضد نفسها، ونجد في كتابات الروائيين والقاصّين – ممن يعانون القمع الاجتماعي والسلطوي عتمة مهيمنة وسلوكا ملتويا ونأيا عن المغامرة والتجديد وتجمدا على قوالب محددة لزمن طويل، أما الكتاب الذين خبروا الحرية وأجواءها الر حبة فإنهم يغامرون ويخترقون المحظور والمسكوت عنه يحطمون التابوات المفروضة وينجزون أعمالا تفوح برائحة الحرية وتتدفق فيها دماء مختلفة عما ألفناه لدى الكتاب المقموعين ونجد أن الأدب يواصل تقدمه في ظل غياب الحرية يلوذ الكاتب بالرمز والكتابة عن عوالم متخيلة أو يلجأ لاستلهام التاريخ، أو يهرب البعض إلى بلدان أخرى ليحققوا حريتهم بعيدا عن قامعيهم، وقد حدث هذا مع كتاب من الصين والاتحاد السوفياتي وكتاب من معظم البلدان العربية بمعنى أن المقاومة الحقة للقمع قد تنتج ظواهر أدبية ولغوية أو تدفع إلى التمرد والثورة الجائحة ..

الأديب الرائد محمود عبد الوهاب في جديد فنارات

بالتزامن مع مهرجان المربد التاسع، دورة الشاعر ألفريد سمعان، الذي عقد في البصرة للفترة من ٩-١١ / أيار/ ٢٠١٢ . اصدر اتحاد أدباء وكتاب البصرة عدداً خاصاً من مجلته (فنارات) كرسه بمجمله للقاص الرائد الراحل (محمود عبد الوهاب) وقد ساهم فيه كل من كريم جخيور وإبراهيم الخياط ومحمد خضير ومحمد سهيل احمد وسلمان كاصد وجابر خليفة جابر وهيثم جبار عباس وعدنان علي شجر وجاسم العايف وياسين طه حافظ وعادل مردان وإيمان الفحام وعبد السادة البصري وجبار الوائلي وكاظم اللايذ وعلي نوير ومجيد الموسوي وعلي أبو عراق وحامد عبد الصمد البصري وحبيب السامر وصبيح عمر واحمد عبد الحسين وحسب الله يحيى وباسم القطراني وثامر سعيد وعبد الحليم مهودر. واحتوى العدد كذلك على آخر حوار له كان قد أجراه معه القسم الثقافي في جريدة (المدى). وكذلك ضم العدد وثائق خاصة بالراحل شملت على بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين بعض زملائه ومجايليه، واحتوى العدد على ملحق ببعض صوره ووثائقه القيمة النادرة. ويذكر أن القاص الرائد (محمود عبد الوهاب) رحل بعد ظهر ٧ / ١٢ / ٢٠١١ ، وشيع صباح اليوم الثاني من مقر اتحاد أدباء وكتاب البصرة في موكب اجتماعي ورسمي كبير ودفن في مقبرة الحسن البصري بقضاء الزبير. وأقام أقاربه واتحاد أدباء وكتاب البصرة مجلس عزاء له في حسينية (الزهراء) بمركز المدينة وحضره عدد كبير جداً من أبناء البصرة بمختلف شرائحهم الاجتماعية ووظائفهم المختلفة كما حضر مجلس العزاء بعض الوفود التي قدمت معزيةً من كل أنحاء العراق. وقد كان غلاف المجلة بعدسة الشاعر والفنان صفاء ذياب.

موت وردة الجزائرية واشتباكات الغرام في يوم وليلة

نعيم عبد مهلهل

١

في يوم وليلة ... اختصرت عمري كله
في قبلة بفمك .. وهي وحدها من أيقظت
نوم العصافير من سُبات المطر عندما
أغرقني حنانكِ بشهوةٍ يغازلها الورد بعطر
الشفتين...!
لا أعرف من قال : ضعها على جنبك تستريح
من كل ألم ...
وفي يوم وليلة وضعتكَ ...
فلم تعد هناك حرب مشتعلة ولا جوع في
ذكرياتي ...
شبعتُ كلي ...
والذي جاع فيَ هو رغبتي لأتذوق فيكِ هذا
الشهد .....!

٢

نجارٌ من أهل جنوب الله والنخل والماء
المسكوب على ضحايا الخبز والشظايا
وقبعات العسكر والذهاب إلى مدارس الطين
حفاةَ ومن دون حقائب
قال : لا يخترق المسمار قلب الخشب بشهوة
إلا عندما يسمع وردة ..!

أنا في صوت وردة .اخترق كل جدران
أسوار المنع وأقلبك على ألف قفى ..
فقط لأصنعَ من متعتي معك سيمفونية
رائعة ...!
لا افترض في هذا العالم جمالاً غير سحرك
ولا برتقالا بطعم شفتيك تقطرُ أمطارهُ علىَ
عطشي فأملك رعشةَ الخَرائط ليكون العالم
ملكي ...!
وكأي دكتاتور اصنع من اثوابكِ الداخلية
اعلاماً للأمم المتحررة.....!

٣

صانع قصائد الربيع بحروف الورد، حتماً
هو عاشق ماهر ...
الأمهر منهُ صانع الغرام...
ففي يوم وليلة
من كثر ما تدفق على عطش مودته
حولَ دمعة الندم في خد حواء إلى مائدة
للحوار الهادئ: حبيبي هبطنا إلى إلى
الأرض .لأفترض أن الجنة أنت . وأن أولَ
سقف بيت يؤوني هو حضنكَ .....!

٤

شهقة الحالم عبارة فيلسوف ..
وشهوة الظالم صوت اطلاقة ...
فقط شهوة الدمعة هي هاجس عميق صنعته
معجزة روحية
سببها واحدة قالت لواحد :أنا مغرمةٌ
بكَ...!

٥

مرة كتبت قصة قصيرة جداً ..
كان فيها رجل جائع ويتأبط مذياعا عاطلا..
وعندما غنت وردة في إذاعة بغداد أغنيتها
الساحرة : في يوم وليلة ..!
قام المذياع وصلحَ نفسه .....!

٦

أنا لست أنا عندما مراياك الزجاج وليستْ
شفتي .....!

٧

مها قدري أن عينيك أكثر سعة من قارة
متجمدة وتغازلها نيران الدفء وفراء
ثعالب نساء السهرة ..
فليس بين الرصافة والجسر إلا خطاي
ومناي وثمالة حوذي جرته العربة إلى
كأسه ..
الليلة من أجلك سأسمع وردة وأكتب
إلى الحسين وجيفارا وجياع الصومال
وشحاذي البصرة ..
ممتلكٌ شوقي من أجلك ولا أفرطُ
فيه ..!
لشعوري أن حلمتيْ نهداك تصنعان
حروفه الشهية .!

٨

في يوم وليلة ..ذقنا حلاوة الحب كله في
يوم وليلة ...!
أنا مع الحب ذقت همسة أمي . ورعشة
وطني . ونحيب الثكالى في اشتياق
الحدائق والمُعيل .....!
لن ابرر للثعالب شهوةَ الدجاج .ولن
ابرر للأسود الجبانة افتراس الفراشات
وفقراء بيوت القصب والصفيح والطين
...!
سأظل احب بلادي وصوت وردة والنشيد
الوطني .....!
وللمتصيد في مظلومية الفقراء اصنع من
الورود قنابلاً واقتلهم بها .....!

٩

ماتت وردة الجزائرية ...
سأقول لصوت العنادل
افذة منك ستظل بدون ستائر والى
الابد.....!